﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: 10 - 11]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من وصفِ مشهدٍ تاريخيٍّ في الدّنيا إلى الوعدِ والوعيدِ في الآخرةِ

لمّا ذَكَرَتِ الآياتُ السّابقة مشهدًا من مشاهد تعذيب المؤمنين على يد المجرمين في مرحلةٍ من مراحل التاريخ، وكانت من أشدِّ أشكال التّعذيب الجماعي للمؤمنين على يد مجتمعٍ كافرٍ ظالمٍ بأكمله؛ ناسب الانتقالُ إلى بيان حُكم الله تعالى فيمَنْ مارس التّعذيب، ومَن عُذِّب من المؤمنين، فهو انتقالٌ من وصف ما جرى من أفعال في الدنيا إلى بيان حُكم الله تعالى في حقِّ مَن مارسها في الآخرة، وعيدًا للظّالمين، ووعدًا للمؤمنين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَنُواْ﴾: يدلُّ أصْل الكلمة (فتن) على ابتلاءٍ واختبارٍ، ومن ذلك: الفِتْنَة، يُقال: فتَنتُ أفْتِن فتْنًا، وفَتنتُ الذَّهَب بالنّار، إذا امتحنتُه، وهو مَفتونٌ وفَتينٌ، والفَتّان: الشَّيطان، ويُقال: فتَنَه وأفْتَنَه[1]، والفَتْن: الإحراق، والفِتْنَةُ: الامتحان والاختبار[2]، والفِتْنَة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد كالبَلِيّة والمُصيبة والقتل، والعذاب ونحوه من الأفعال المكروهة، ومتى كان من الله إنَّما يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فتن).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (فتن).

ضدّ ذلك[1]، والمُراد بها في الآية تعذيب المؤمنين بقصد صدِّهم عن دين الله تعالى.

2) ﴿ٱلۡحَرِيقِ﴾: أصلُ (حرق) يدُلُّ على حرارةٍ والتِهابٍ[2]، والحَريق: النّار، والإحراق: إيقاع نارٍ ذات لهيبٍ في الشَّيء، ومنه استُعير: أحرَقني بلَوْمه: إذا بالغ في أذيَّته بلَوْم[3]، والمقصود في الآية المعنى الحسيِّ وهو ما يكون من التَّعذيب بالحرق في النّار في الآخرة.

3) ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾: النَّجاة والظَّفر بالخير، واستعملته العرب بمعنى الهَلاك، يقولون: فازَ يَفوزُ وفَوَّزَ، أيْ: مات[4]، والمَفازَة: الصَّحراء المُهلِكة، سُمّيتْ بذلك تفاؤلًا لراكبِها بالسَّلامَة والنَّجاة، والمَفازةُ: المَنْجاةُ[5]، والمُراد بالفوز في الآيةِ الفوز الأُخرويُّ والنَّجاة من النار.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مـصـيرُ الآخـرةِ إمّا عذابٌ مُخلَّدٌ لـلـمـجـرمـين؛ وإمّا نعيمٌ خالدٌ للمؤمنين

تُبيِّن الآيتان الكريمتان مصيرَ الكافرين والمؤمنين في الآخرةِ، فتذكُر الأولى أنَّ الذين فتنوا المؤمنين بالعذاب في الدُّنيا ثُمَّ ماتوا على الكفر دون إحداثِ توبةٍ صادقةٍ فلهم عذاب النّار يُحرقون بها في الآخرة، وتذكر الآية الثّانيةُ ما سيكون للمؤمنين بالله الذين عملوا الصّالحات، بأنَّ لهم جنّاتٍ تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، فذلك الفوز العظيم الَّذي لا يُضاهيه فوزٌ، ولا يُدانيه نعيمٌ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ مِمّا سَبقَ:

عـذابُ المُجرمين نـهـايـةٌ حتميَّةٌ وسُنَّةٌ كونيَّةٌ

يُحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ جوابًا للقَسَم الذي افتُتحت به السّورة الكريمة، ويكون ما وقع بين القَسَم

(1) الفيروابادي، بصائر ذوي التَّمييز: (فتن).
(2) الكَفوي، الكُلّيّات، ص: 408، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرق).
(3) الرّاغب، المُفردات: (حرق).
(4) الجوهري، الصّحاح: (فوز).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فوز).

وهذه الجُملة اعتراضًا مقصودًا به تهيئةُ السّامع لتهديدٍ أشدَّ، وذلك بذِكْرِ وعيدٍ نزل بأقوامٍ مُماثلين لهم، أمّا إذا اعتُبر جوابُ القَسَم هو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾، فإنَّ جُملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تكون بمنزلة الفَذْلَكة والخلاصة المُبيِّنة لمقصود القَسَم، لأنَّ المُراد كُلُّه هو توجيه الوعيد الصَّريح إلى الذين اضطهدوا المؤمنين والمؤمنات من مُشركي قريشٍ.

غَرَضُ التَّوكيدِ ودلالتُهُ:

الـرَّدُّ على أوهام المشركينَ ببيانِ حتميّةِ عاقبتِهم

تأكيدُ الخبرِ بـ﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾؛ لِلرَّدِّ على المشركين الَّذين يُنكِرون أنْ تكون عليهم تَبِعَةٌ من فتْنِ المؤمنين[1]، ولبيان عظيم مآل الفاتنين، وأنّهم سينالون جزاءهم العادل في الآخرة حتمًا؛ فلا نجاةَ ولا مَهْرَبَ.

نكتةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

جاء التّعبيرُ بالموصولِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ الفاتنين هم قومٌ معهودون بلقبِهم التاريخيّ، وبصفاتهم التي تركت أثرًا يُروى.

بلاغةُ التّعبيرِ بمُفردةِ الفتنةِ:

مقصودُ الفتنةِ رِدَّةُ المؤمنين عن دينِهم لا مُجرَّدَ قتلِهم

استعمل النّظمُ الكريمُ مادة (الفتن) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، والمقصود ابتلاء المؤمنين وتعذيبهم واختبارهم بالعذاب والنار بغرض ترك دينهم، وآثر النَّظْم استعمال هذه المُفردة دون غيرها؛ لبيان أنَّ المجرمين ما كانوا يُعذِّبون بغرض القتل وزهق الأرواح، بل بغرضٍ وهو أن يرتدَّ المؤمنون عن دينهم، فالفتنةُ ليست قتلًا فحسب، فإنَّ القتل من أدوات الفتنة للوصول إلى المقصود، وهو أن يترك المؤمنون إيمانهم الذي نقِمه عليهم المجرمون، فدلَّ اختيارُ المُفرَدَةِ على مقصودِ الفاتنين بما فعلوا.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 245.

تعيينُ المقصودِ بالفاتِنين:

للسّياقِ أثرٌ في التَّخصيصِ لكنَّه تخصيصُ تفسيرٍ لا تخصيصُ حُكمٍ

المقصودُ بالفاتنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون أصحاب الأخدود خاصَّة، وهو ما يُظهره السّياق السّابق، ويحتمل أن يكون مُشركي قريش؛ وهو ما يُرشِّحه السياق اللّاحق، لأنَّه لا يُلاقي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ إذْ هو تعريضٌ بالتَّرغيبِ في التَّوبة، وأصحاب الأخدود غير مُتحقِّقٌ منهم ذلك لموتهم، ولا يُلاقي دخولَ الفاءِ في خبرِ ﴿إِنَّ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[1]، جزاءً على فتنتهم التي استمروا عليها، والأوجه أن يكون ذلك في أصحاب الأخدود ابتداءً، وما ذُكر من أمر التّوبة فلا ينهض للاعتراض، لأنَّه إخبارٌ عن عدل اللّه تعالى في حساب عباده السابقين واللاحقين، بل فيها إشارةٌ إلى أنَّ من أصحاب الأخدود مَن آمن بعد توبةٍ، كحال مشركي قريشٍ، فهو إخبارٌ عن حَدَثٍ تاريخيٍّ، ويدخل بطريق الإيماء كلُّ مَن شابَهَ أصحابَ الأخدود في فتنتهم للمؤمنين، وخاصّة أهل مكة، والقول بأنَّ اللفظ عامٌّ فغير دقيقٍ، إذِ للسّياق أثرٌ في التّخصيص، لكنّه تخصيصُ تفسيرٍ لا تخصيصُ حُكْمٍ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالاسمِ المُعرَّف لا الموصولِ:

بيانُ رسوخِ المؤمنين في مواجهةِ المشركين

جاء التَّعبيرُ بالاسم المعرّف بـ(أل) دون الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ فلم يَقُلْ: (إنَّ الذين فتنوا الذين آمنوا)؛ وذلك للنَّصِّ على ذكر جنس المؤمنين والمؤمنات، دون الاكتفاء بفعل (آمنوا) وحده، الدّالّ على الجنسيْن، وللدّلالة على رسوخ إيمانهم، وثباتهم عليه، ولاستغراق كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ في الثّبات على الإيمان.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 245.

فائدةُ عَطْفِ ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

الإشـــــادةُ بثباتِ المؤمنين والمؤمناتِ وإبرازُ قيمةِ النِّساءِ في الثَّباتِ على الدّينِ

آثر السّياقُ ذِكْر المؤمنات نصًّا كما ذُكر المؤمنون في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ دون اتّباعِ أسلوبِ التَّغليبِ كما هو في غالب القرآن، وذلك لبيان أنَّ المجرمين تسلَّطوا على المؤمنات كما تسلَّطوا على المؤمنين، وأنَّ حربهم كانت على الجنسيْن سواءً بسواءٍ، وأنَّ النِّساء المؤمنات وجدْنَ من الفتنة كتلك التي وجدها الرجال، وهو ما يُعطي أهميّةً للمرأة، ودورها في الدّفاع عن دين الله تعالى من غائلة الفتنة، وأنَّ للمرأةِ شأنًا عظيمًا في الدّعوة إلى دين الله تعالى، و"التَّنْويه بشَأْنِهِنَّ؛ لِئَلّا يُظَنَّ أنَّ هذه المَزيَّةَ خاصَّةٌ بالرِّجالِ، ولزيادة تفظيع فِعْل الفاتِنين بأنَّهم اعتدوا على النِّساء، والشّأنُ أنْ لا يُتعرَّض لهنَّ بالغِلْظة"[1].

دلالةُ استعمالِ حَرْفِ التَّراخي:

التَّراخي الرُّتبيُّ يُصوِّر التَّعجيبَ من حـــال الفاتنين المُصرّين على الكُفرِ

أوثِر التّعبيرُ بحَرْف التَّراخي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ عدمَ توبتِهم أعجب من المَذكورين[2]، لأنَّ الاستمرار على الكُفْر أعظم من فِتْنة المؤمنين، وعليه فالتَّراخي هنا رُتَبيٌّ؛ لأنَّ المعطوف أعظم رُتْبةً من المعطوف عليه، "وجملة ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ مُعترضةٌ، وفيه تعريضٌ للمشركين بأنَّهم إنْ تابوا وآمنوا سَلِموا من عذاب جهنَّم"[3]، والقولُ بالتَّعريض بالمُشركين بناءً على القول بأنَّ المقصود بالفاتنين أصحاب الأخدود، وأمّا على القول بأنَّ المقصود بهم المشركون فلا تعريض حينئذٍ؛ لأنَّ تأويل الكلام: (إنَّ المُشركين الفاتنين المؤمنين والمؤمنات ثُمَّ لم يتوبوا ...).

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 245.
(2) القونويُّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 188.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 246.

بلاغةُ استعمالِ مُفردةِ التَّوبةِ:

جاء التَّعبير بمُفردة التوبة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ دون الإيمان؛ وذلك لبيان أنَّ إيمانَ الفاتنين المُجرمين ليس كإيمان غيرهم، فلا بدَّ من أن يسبق هذا الإيمان توبةٌ حقيقيَّةٌ تستجمع أركان القبول من النَّدم العميق، والصِّدق الخالص، والتَّواضع الكامل، فإنَّ الإيمان بالله تعالى بعد الإجرام لا يُقبل إلّا إذا كان موافقًا لشروط الشّرع، ولكيلا يقع تهاونٌ من قِبل المشركين في الإيمان، فيقع الظنُّ أنَّ قبول إيمان المجرم بأدنى كلمةٍ يقولها فيُقبل في دين الله تعالى بعد ارتكابه للجرائم.

إيمانُ الكافرِ المجرمِ لا يكونُ إلّا بعد استجماعِ شروطِ التَّوبةِ الصّادقةِ

دلالةُ التَّعبيرِ بالمُضارعِ المَنفيِّ:

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بصيغةِ المُضارع المنفيِّ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ دون التَّعبير بالموت على الكُفر؛ فلم يَقُلْ: (ثُمَّ ماتوا كفّارًا)؛ وذلك لتحضيض الفاتنين في كلِّ وقتٍ إلى التَّوبة، وأنَّ الكافر المُجرم مهما بلغ إجرامُه فإنَّ توبته مقبولةٌ عند الله تعالى إن أقبل بقلبٍ صادقٍ.

قبولُ توبةِ المُجرمين من خصائص ربِّ العالمين وأفعالِهِ

نوعُ الفاءِ ودلالتُها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ﴾ للسَّببيَّة؛ للإشعار بأنَّ كُفْر الذين فتنوا أهل الإيمان، وأذاهم لَهُم سَبَبٌ لعذابهم الشَّديد في الآخرة، وقد دَلَّت الفاء على العدل الإلهي؛ حيثُ إنَّه سبحانه لا يُعذِّبُ أحَدًا إلّا بسَبَبٍ، واقتُرن خبر ﴿إِنَّ﴾ بالفاء لِما في المبتدأ من معنى الشَّرْط[1]؛ أي: إن تحقَّقت فتنةُ المُجرمين للمؤمنين والمؤمنات، ثُمَّ لم يُحدثوا توبةً فإنَّه يترتَّب على ذلك الفعل عذابٌ في الآخرة.

فتنةُ المُجرمين سببُ عذابِهِم في نارِ الجحيمِ

بلاغةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المُسنَد إليه:

قُدِّم الجارُّ والمجرور على المُسند إليه في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 343.

المُبالغةُ في الوعيدِ والتَّهديدِ لبيانِ دركاتِ المُعذَّبين في الجحيمِ

عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ للتَّخصيص؛ أيْ: فلَهُم خاصَّة، وبسبب كُفْرهم وفتنتهم للمؤمنين عن دينهم عذابٌ فوق العذاب، والقَصْر في الجُمْلتيْنِ ادِّعائيٌّ من باب قَصْر الصِّفة على الموصوف؛ للمُبالغة في تهديدهم ووعيدهم، وكأنَّ هذا العذاب المُتراكب الشَّديد أُعِدَّ لَهُم خاصَّة دون غيرهم من أهل الإجرام.

نوعُ الإضافةِ ودلالتُها:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ وقوله: ﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ لبيان نَوْعِ العذاب، والإضافة بمعنى (في)؛ أيْ: عذابٌ في جهنَّم، وعذابٌ في الحريق، فهو عذابٌ في عذابٍ.

بلاغةُ العطفِ ونوعُهُ:

عَطْفُ الخاصِّ على العامِّ لبيانِ العدلِ الإلهيِّ والحُكمِ الرَّبّانيِّ

عَطْف ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ على ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ من باب عَطْف الخاصِّ على العامّ؛ للمُبالغة فيه؛ لأنَّ عذاب جهنَّم بالزَّمهرير والإحراق وغيرهما، ويوضِّحه إضافة العذاب للحريق، والعَطْف يَقتضي المُغايَرة، فيُحْمَل الأوَّل: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ على أنَّهم استحقوه لكفرهم، والثّاني: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ على أنَّهم استحقّوه جزاءً وفاقًا، فكما أحْرَقوا المؤمنين فسيُحرقون بنار الحريق، فالعطف هو من عطفِ عذابٍ خاصٍّ يُعلم بشدَّته وعظيم هوله على عذابٍ عامٍّ لكل الكافرين، فاجتمع عليهم عذابان، وهو ما يوحي إلى ما استقرَّ بأنَّ عذاب الآخرة على دركات لكلٍّ صنف نصيبه الخاصّ، وهذا من تمام عَدْلِ الله تعالى في مُحاسبة عباده وجزائهم، والاجتهاد في التَّفريق بَيْنَ العذابيْن على التَّفصيل، ليس للعقل بل بما ثبت عن سيِّد الخلق، وإبهام العذابيْن أشدُّ من تفصيلِ المُراد منهما على المُجرمين.

ورأى ابن عاشور أنَّ عطف جُمْلَة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ على

العطفُ للتَّوكيدِ بقصدِ المُبالغةِ

جُمْلَة ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لمَعْنى التَّوْكيد اللَّفْظيِّ، واقتران الثّانية بواو العطف للمُبالغة في التَّأكيد بإيهام أنَّ مَنْ يُريد زيادة تهديدهم بوعيدٍ آخر فلا يوجد أعظم من الوعيد الأوَّل مع ما بين عذاب جهنَّم وعذاب الحريق من اختلافٍ في المدلول، وإن كان مآلُ المَدْلولَيْنِ واحدًا. وهذا ضَرْبٌ من المُغايرة يُحَسِّن عَطْف التَّأكيد[1]، وجَعْلُه من عطف الخاصِّ على العامِّ أولى بالقبول، وأقرب لدلالة العطف.

نُكتةُ تَكرارِ (لهم) في المعطوفِ:

عطفُ استحقاقِ العذابِ على استحقاقِ العذابِ لا عطفُ العذابِ على العذابِ

كُرّر ذِكْرُ (لهم) في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ زيادةً في تهويل الموقف، وتفظيع ما أُعدَّ للكافرين من شديد العذاب، ولتأكيد استحقاقهم عذابيْن: عذاب جهنم، وعذاب الحريق، فكلٌّ من العذابيْن لهم على وجه الخصوص، ولتكون كلُّ جملةٍ مُستقلّة بالإخبار عن استحقاقِهم لنوعٍ من العذاب، فهذا ليس من عطف العذاب على العذاب؛ بل من عطف استحقاق العذاب على استحقاق العذاب.

موقعُ جملةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في السّياقِ:

احتمالُ الاستئنافِ البيانيِّ والاعتراضِ

يحتمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ أن يكون استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ المُقتَضي أنَّهم إن تابوا لم يكن لهم عذاب جهنم فيتشوف السامع إلى معرفة حالهم أمقصورة على السلامة من عذاب جهنم أو هي فوق ذلك، فأخبر بأنّ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ فإنَّ التوبة الإيمان، فلذلك جيء بصلة ﴿ءَامَنُواْ﴾ دون: (تابوا)؛ ليدلَّ على أن الإيمان والعمل الصالح هو التوبة من الشرك الباعث على فتْنِ المؤمنين، وهذا الاستئناف وقع معترضًا.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 246.

ويحتمل أن يكون اعتراضًا بين جُمْلة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وجُمْلة ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ اعتراضًا بالبِشارة في خلال الإنذار لترغيب المُنذِرين في الإيمان، ولتثبيت المؤمنين على ما يُلاقونه من أذى المشركين على عادة القرآن في إرداف الإرهاب بالتّرغيب[1].

غرضُ التّأكيدِ بحرفِ ﴿إِنَّ﴾:

أُكِّد الخبر بحرف ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لأنَّ الكُفّار يُنكرون هذا الثَّواب، وذلك الفَضْل[2]، وفي هذا مَزيدُ تَحْسيرٍ وإغاظةٍ مع الاهتمام بالخبر[3].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

مدحُ المُستحقّين للجنّاتِ بأعمالِهم لا بادِّعائِهم

جاء التَّعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للعلم بصفات المقصود بالذِّكر، فهُم الذين جمعوا إلى الإيمانِ عَمَلًا صالحًا، ولبيان مدحهم بما جاء في صلة الموصول، فالذين لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار هم المُتَّصفون بكَيْت وكيْت، فيقع الاسم الموصول موقعَ العِلَّة لاستحقاقِ الجنّات؛ "أيْ: لَهم بسَبَبِ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ جَنّاتٌ مُتَّصِفَةٌ بهذه الصِّفة"[4].

نوعُ العطفِ ودلالتُهُ:

اقترانُ الإيمانِ بالأعمالِ الصّالحةِ اقترانٌ تلازميٌّ

عَطْفُ عملِ الصّالحاتِ على الإيمان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من عطفِ الخاصِّ على العامِّ، فالإيمان أعمُّ من العمل، وذِكْره لبيان أنّه لا يُتصوَّر إيمانٌ بدون عملٍ للصّالحات، ولو ادّعى أحدٌ الإيمانَ دون أن يقوم بالصالحات مُطلقًا فهو دعيٌّ لا يُقبل إيمانه، لأنَّ ترتُّب قوله تعالى: هو على الإيمان وعمل

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 246 - 247.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 21/ 360.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 247.
(4) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 6/ 238.

الصّالحات، لا على الإيمان وحده، ولا على الصالحات وحدها، فبان أنَّهما مقترنان اقترانًا تلازميًّا.

دلالةُ تقديمِ ذِكْرِ الإيمانِ على العملِ:

تقديمُ الشَّرطِ على المشروطِ والأصلِ على الثّمرةِ

قُدِّم ذِكرُ الإيمانِ على العمل الصالح لأهميَّته؛ إذ هو أساس قبول العمل الصّالح عند الله تعالى، حيثُ لا يُقْبل عَمَلٌ مهما كان صالحًا من غير إيمانٍ بالله تعالى وحْدَه لا شريك له، وهذا من باب تقديم الشرط على المشروط، وعطف المشروط على الشرط، فشرط قبول الأعمال الإيمان، ولذلك ترتّب على ذلك نتيجةٌ واضحةٌ وهي ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وهذه النتيجة لا تكون بدون تحقيق الأصل والشرط، وما ينشأ عنه فهو أمرٌ بدهيٌّ؛ إذْ مُقتَضى الإيمان تحقيق الأعمال.

معنى تعريفِ لفظة ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وجَمْعها:

(أل) في لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هي الجِنْسيَّة، أفادت شمول الصّالحات لكلِّ أبواب الخير، ففيه إفادة العموم والشُّمول، ويُعضِّد ذلك التعبير بصيغة الجَمْع.

توجيهُ المُتشابهِ اللَّفظيِّ بذِكْرِ الفاءِ وحذفها:

هدايةُ اللهِ لجميعِ عبادِه مُتحقِّقةٌ؛ فمَنْ قَبِلَها فبتوفيقِ اللهِ، ومَنْ تركها فلسوءِ نفسِهِ

لما ذَكَر النّظم جزاء الكافرين؛ ذكرَ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾، ولمّا جاء على ذِكْر جزاء المؤمنين جرّدها من الفاء فقال تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾، وذلك لبيان عدل الله تعالى في ترتيب الجزاء على الفعل في حق الكافرين، وهذا المعنى وإن كان حاضرًا في شأن المؤمنين، إلّا أنّه لم يأتِ بذِكْر الفاء؛ لأنَّ المؤمنين يعلمونه تلميحًا، ويقف عليه الكافرون تصريحًا، وما كان في دائرة الوعيد فيحسن معه التصريح، وما جاء في دائرة الوعد فيملح معه التلميح، وقد ذهب البقاعيُّ إلى توجيهٍ آخر فقال: "لمّا كان الله سبحانه من رَحْمته قد تغمَّد أولياءه بعِنايته، ولم يَكِلْهم إلى أعمالهم؛ لم يَجْعلها

سَبَبَ سعادتهم فلَمْ يُقْرِن بالفاء قوله: ﴿لَهُمْ﴾"[1]، والحقُّ أنَّ الله تعالى يوفّق عبادَه وأولياءه إلى الحقِّ، ولأجل توفيقه وإعانته لم يكن دخول الجنان بمحض عملهم؛ بل بتوفيقهم إليه، ورضاهم عنه، واستمرارهم فيه، أمّا الكافرون فوُكِّلوا إلى أنفسهم فأهلكتهم المهالك، وكلٌّ باختياره، فمَنِ اختار الإيمانَ بتوفيق الله تعالى له، ليس كَمَن رفض هدايةَ الله وآثرَ عليها الدنيا.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المُسنَدِ إليه:

قُدِّم الجارّ والمجرور على المُسند إليه في قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾؛ لإفادة التَّخصيص وشِبه الملكيّة، فالمؤمنون وحْدَهم هُم الذين سيتمتَّعون بتلك الجَنّات والنَّعيم المُقيم.

دلالةُ جَمْعِ ﴿جَنَّٰتٌ﴾:

جُمِعَ لفظ ﴿جَنَّٰتٌ﴾؛ للدَّلالة على كثرتها وتنوُّعها، وهذا يدلُّ على عِظَم النَّعيم المقيم، كما أنَّ الجمع يدلّ على تفاوتها فيما بينها كما أفادت بقية النصوص.

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿جَنَّٰتٌ﴾:

نُكِّر لفظ ﴿جَنَّٰتٌ﴾ للتَّعظيم والتَّفخيم؛ فشأن جنّات النّعيم التي أعدّها الله للمؤمنين أن تكون عظيمة، واكتست بالفخامة من حيث إنّها جزاء ربِّ العالمين للمؤمنين.

نكتةُ إثباتِ حرفِ ﴿مِن﴾:

دلَّ حرفُ ﴿مِن﴾ على الابتداء في قوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فهي أنهارٌ تجري ابتداءً من تحت الجنّات، والمعنى أنّها تنبع من تحتها الأنهار، وهذا من أعظم النّعيم أن يكون أصل النهر ومنبعه قريبًا من صاحب الجنّة، بل من تحته، ففيه إيماءٌ إلى عظيم

جـريُ الأنـهـارِ تـحـتَ الـجـنّـاتِ جزاءُ الصَّبرِ على جـريـانِ الـنّـيرانِ تحت الأقدامِ

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 21/ 360.

النعيم، مع ما فيه من التناسب على الجزاء، فلمَّا كانت الأخاديد تُحفر وتُلقى فيها النيران من تحت أقدام المؤمنين؛ كان المناسب أن تنبع الأنهار من تحت جنّاتهم.

تعيينُ مَرْجِع اسمِ الإشارةِ ودلالتُهُ:

اسـمُ الإشـارةِ يَخْتَزِل الكلامَ لـلإيـذانِ بعلوِّ مـكـانـةِ الـفـوزِ الكبيرِ

مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ هو "ما تَقَدَّمَ ذِكْرُه مِمّا أعَدَّهُ اللّه لعباده المؤمنين؛ أيْ: ذلك المذكورُ الفوزُ الكبير الَّذي لا يَعْدِلُه فوزٌ ولا يُقاربه ولا يُدانيه، والفوز الظَّفَرُ بالمطلوب"[1]. وقد اختزل اسم الإشارة الكلام وأوجزه وصفّاه، وجاء التعبير باسم الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ للإيذان بعُلوِّ درجة هذا الفوز الذي لا يَعدِلُه فوزٌ، ولا يُقارِبه ولا يُدانيه في الفضل والشَّرف.

نكتةُ وصفِ ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ بالكبيرِ:

الـفـوزُ الـكـبـيرُ جـــزاءُ الـصَّـبرِ الكبيرِ

وُصِف الفوز بالكبير للتَّأكيد على عِظَم الفوز الذي سيناله المؤمنون وعظيم شأنه، وليتناسب مع الأخدود الكبير الذي وُضع فيه المؤمنون؛ ليكون جزاءً على صبرهم؛ فإنَّ الصبر الكبير سيُجازي عليه اللّه تعالى عبادَه بالفوز الكبير.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفتنة والابتلاء:

الابـتـلاءُ يكونُ بالخيرِ والشَّرِّ، والـفـتـنـةُ أشـدُّ الاختبارِ

الفتنة أشدّ الاختبار وأبلغه، وأصْله عرض الذّهب على النّار لتبيّن صلاحه من فساده، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذّاريات: 13]، والابتلاء لا يكون إلّا بتحمُّل المَكاره والمشاقّ، ويكون في الخير والشَّرّ، لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: 35].

والاختبار: يكون بذلك وبفعل المحبوب. ألا تَرى أنّه يُقال: اختبره

(1) الشَّوْكانيّ، فتح القدير: 6/ 339.

بالإنعام عليه ولا تقول: ابتلاه بذلك، ولا هو مُبْتَلى بالنّعمة، كما قد يُقال إنّه مُخْتَبَر بها، ويجوز أنْ يُقال: إنّ الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المُبْتَلى من الطّاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخَبَر بحاله في ذلك، والخَبَر العِلْم الّذي يقع بكُنْه الشَّيء وحقيقته؛ فالفرق بينهما بيّن[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 286.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"